فى رسالة الغفران لأبى العلاء

بقـــلم

السباعى بيومى الاستاذ بكلية دار العلوم

— ٣ —

ثالثا — مسائلها الأدبيه وسائر معارفها

قد اشتملت رسالة الغفران على كثرة كثيرة من المسائل الأدبية وألوان عدة من المسائل اللغوية والنحوية والعروضية ، وتعدت هذه وتلك إلى معارف أخرى فكان لها بذلك شأن علمى غير شأنها القصصى ، كشف عما كان لصاحبها من رأى فيما به صرح أو اليه أشار ، وهذه بعض أمثلة لما ذكرنا : —

المسائل الأدبية

١ — فمن مسائلها الأدبية ـ وقد رأينا أن يكون الأول هنا وان لم يكن الأول هناك ـ عقيدته فى صناعة الأدب وأنها صناعة فقر ورفاقة وانها كثيرا ما تودى بصاحبها وقد كشف عن هذه العقيدة على لسان إبليس حين قال لشيخ الرسالة ابن القارح ، من الرجل ؟ قال أنا على بن منصور من أهل حلب كانت صناعتى الأدب ، أتقرب به الى الملوك ، فقال ، بئس الصناعة إنها تهب غفة من العيش لا يتسع بها العيال ، وانها لمزلة القدم ، وكم أهلكت مثلك فهنيئا لك اذ نجوت »

٢ — ومنها تكذيبه على لسان امرىء القيس ما نسبه اليه المحدثون من التسميط فى الشعر حين قال له أخبرنى عن التسميط المنسوب اليك ، أصحيح هو عنك ، ثم أنشده بعض ما يرويه الناس وهو :

يا قوم ان الهوى إذا أصاب الفتى
فى القلب ثم ارتقى فهو بعض القوى
فقـــد هوى الرجل

فيقول والله ما سمعت هذا قط ، وإنه لقرى لم أملكه ، وان الكذب لكثير وأحسب هذا لبعض شعراء الاسلام ، ولقد ظلمنى وأساء إلى ، أبعد كلمتى التى أولها

ألا عم صباحا أيها الطلل البالى وهل يعمن من كان فى العصر الخالى

وقصيدتى التى مطلعها :

خليلى مرا على أم جندب لأقضى حاجات الفؤاد المعذب

يقال لى مثل ذلك ، والرجز من أضعف الشعر وهذا الوزن من أضعف الرجز.

٣ — ومنها تبيينه الحقيقة على لسان النابغة فيما نسب اليه بقصيدته فى المتجردة امرأة النعمان إذ يقول له ، يا أبا أمامة انك لحصيف الرأى لبيب فكيف حسن لك ايك أن تقول للنعمان :

زعم الهمام بأن فاهـا بارد عذب اذا ماذقته قلت ازدد

زعـم الهمام ولم أذقه بأنه يشفى ببرد لثاتها المطش الصدى

ثم استمر بك القول حتى أنكره عليك خاصة وعامة ، فيقول النابغة ، لقد ظلمنى من عاب على ولو أنصفنى لعلم أننى احترزت أشد احتراز ، وذلك أن النعمان كان مستهترا بتلك المرأة فأمرنى أن أذكرها فى شعرى ، فأدرت ذلك فى خلدى فقلت ، إن وصفتها وصفا مطلقا جاز أن يكون بغيرها معلقا ، وخشيت أن أذكر اسمها فى النظم ، فلا يكون ذلك موافقا للملك لأن الملوك يأنفون من تسمية نسائهم ، فرأيت أن أسند الصفة اليه فأقول ، زعم الهمام اذ كنت لو تركت ذكره لظن السامع أن صفتى على المشاهدة ، والأبيات التى جاءت بعد داخلة فى وصف الهمام ، فمن تأمل المعنى وجده غير مختل ، فيقول الشيخ إننا ننشد واذا لمست على الخطاب فيقول النابغة الأجود أن تجعلوه إخبارا عن المتكلم وهو الهمام لأن قولى زعم الهمام يؤدى معنى قال الهمام ، اذ كان الملك انما يحكى عن نفسه ، واذا جعلتموه على الخطاب قبح ، لأنكم ان نسبتموه إلى فهى مندية ، واذا نسبتموه الى النعمان فهو ازدراء وتنقص ، فيقول الشيخ لله درك يا كوكب بنى مرة ولقد صحف عليك أهل العلم من الرواة وكيف لى بأبوى عمرو المازنى والشيبانى وابى عبيدة وعبد الملك وغيرهم من النقلة لأسألهم كيف يروون ، وأنت شاهد لتعلم أنى غير المتخرص ولا الولاغ ، فلا يقر هذا القول فى حذنة

أبى أمامة إلا والرواة أجمعون قد أحضرهم الله القادر من غير مشقة نالتهم ولا كلفة فى ذلك أصابتهم ، فيسلمون بلطف ورفق .

٤ — ومنها نفيه قصيدة نسبها الرواة الى النابغة خطأ حين يقول له بعد هذا الذى تقدم ، مضى الكلام فى هذا يا أبا أمامة فأنشدنى كلمتك التى أولها

ألما على المعطورة المتأبده أقامت بها فى المربع المتجرده
مضمخة بالمسك مخضوبة الشوى بدر وياقوت لها متقلده
كأن ثناياها وما ذقت طعمها بجاجة نحل من كميت مبرده
ليقرر بها النعمان عينا فانها له نعمة فى كل يوم مجددة

فيقول أبو أمامة ما أذكر أنى سلكت هذا القرى قط ، فيقول الشيخ إن ذلك لعجب فمن الذى تطوع فنسبها اليك ، فيقول انها لم تنسب إلى على سبيل التطوع ولكن على معنى الغلط والتوهم ، واعلمها لرجل من بنى ثعلبة بن سعد ، فيقول نابغة بنى جعدة إن ذلك الرجل صحبنى وهو شاب فى الجاهلية ونحن نريد الحيرة ، فأنشدنى هذه القصيدة لنفسه ، وصادف قدومه شكاة من النعمان فلم يصل بها اليه ، فيقول نابغة بنى ذبيان ما أجدر ذلك أن يكون .

٥ — ومنها — وكان من عادته أن يتهرب من الاجابة إذا كان الموضوع ذا خلاف لم يجرم فيه برأى دون رأى — قوله لأوس بن حجر يا أوس ان أصحابك لايجيبون السائل فهل عندك من جواب فانى أريد أن أسألك عن هذا البيت

وقارفت وهى لم تجرب وباع لها من الفصافص بالنمى سفسير

فانه فى قصيدتك التى أولها « هل عاجل من متاع الحى منظور » ويروى فى قصيدة النابغة التى أولها « ودع أمامة والتوديع تعذير » وكلا كما معدود فى الفحول ، فعلى أى شىء يحمل ذلك ، فيقول أوس قد بلغنى أن نابغة بنى ذبيان فى الجنة فاسأله عما بدا لك فلعله يخبرك فانه أجدر أن يعى هذه الأشياء ، فاما أنا فقد ذهلت ، نار توقد وبنان يعقد . ومع هذه الاحالة فى الاجابة لم يسأل الشيخ النابغة لأن الخلاف كما ذكرت ليس فيه راجح على مرجوح .

٦ — ومنها تصحيح نسبة بيتين فى معلقة عمرو بن كلثوم إلى صاحبها الحق عمرو

ابن عذى على لسان جارية غنت جماعة فاعجبوا من احسانها واصابتها ، فقالت لهم أتدرون من أنا قالوا لا فقالت أنا أم عمرو التى يقول فيها القائل :

تصد الـكأس عنا أم عمرو وكان الـكأس مجراها اليمينا
وما شر الثـــلاثة أم عمرو بصاحبيـــك الذى لا تصبحينا

فيزدادون بها عجبا ولها إكراما ويقولون ، لمن هذا الشعر ، ألعمرو بن كلثوم التغلبى أم لعمرو بن عدى اللخمى فتقول أنا شهدت ندمانى جذيمة مالكا وعقيلا وصبحتهما الخمر المشعشعة مع عمرو بن عدى فكنت أصرف الكأس عنه فقال هذين البيتين ، ولعل عمرو بن كلثوم حسن بهما كلامه واستزادهما فى أبياته ،

٧ ــ ومنها تخطيئة عنترة فى أن متقدمى الشعراء الجاهليين استنفدوا معانى الشعر ، وجزمه أن معين الشعر لم يزل فياضا زاخرا على أيدى المتأخرين ، مع بيان رأيه فى شاعرية أبى تمام ، وذلك حين يقول لعنترة ، إنى إذا ذكرت قولك « هل غادر الشعراء من متردم » لأقول إنما قيل ذلك وديوان الشعر قليل محفوظ ، فأما الآن فلو سمعت ما قيل بعد مبعث النبى ﷺ لعتبت نفسك على ماقلت ، وعلمت أن الأمر كما قال حبيب بن أوس

فلو كان يفنى الشعر أفناه ماقرت حياضك منه فى العصور الذواهب
ولكنه صوب العقول إذا انجلت سحائب منه أعقبت بسحائب

فيقول وما حبيبكم هذا فيقول شاعر ظهر فى الاسلام ، وينشده شيئا من نظمه فيقول أما الأصل فعربى وأما الفرع فنطق به غبى ، وليس هذا المذهب على ماتعرف قبائل العرب ، فيقول الشيخ وهو ضاحك مستبشر إنما ينكر عليه المستعار وقد جاءت العارية فى أشعار كثيرة من المتقـــدمين إلا أنها لا تجتمع كاجتماعها فيما نظمه حبيب

٨ ــ ومنها تكذيبه على لسان مهلهل أنه سمى بذلك لانه أول من هلهل الشعر أى رققه مع ذكره السبب الحق فى هذا على لسانه أيضا حين سأله ، أخبرنى لم سميت مهلهلا فقد قيل إنك سميت بذلك لانك أول من هلهل الشعر ، فأجاب ، إن

الكذب لكثير وإنما كان لى أخ يقال له امرؤ القيس ، فأغار علينا زهير بن جناب الكلبى فتبعه أخى فى زراقة من قومه وقال فى ذلك

لما توقل فى الكراع هجيتهم هلهلت أثأر مالكا أو صنبلا

فسمى مهلهلا ، فلما هلك شبهت به فقيل لى مهلهل ، وهنا يقول له الشيخ الآن شفيت صدرى بحقيقة اليقين .

٩ — ومنها تكذيبه على لسان آدم صلوات الله عليه ما يذكر فى أولية الشعر العربى منسوبا اليه من قريض حين يقول له ، يا أبانا صلى الله عليك ، قد روى لنا عنك شعر منه قولك

نحن بنو الأرض وسكانها منها خلقنا واليها نعود
والسعد لا يبقى لأصحابه والنحس تمحوه ليالى السعود

فيقول آدم ، إن هذا القول حق وما نطق إلا بعض الحكماء ، ولكنى لم أسمع به حتى الساعة فيقول له لعلك يا أبانا قلته ثم نسيت فيقول آدم أبيتم إلا عقوقا وأذية ، إنما كنت أتكلم العربية وأنا فى الجنة ، فلما هبطت الارض نسقل لسانى إلا السريانية فلم أنطق بغيرها إلى أن هلكت ، ولما ردنى الله سبحانه وتعالى الى الجنة عادت على العربية ، والذى قال ذلك يجب أن يكون قاله وهو فى الدار الماكرة فكيف أقوله ولسانى سريانى ، وأما الجنة فقبل خروجى منها لم أكن أدرى بالموت فيها وبعد رجوعى اليها لا معنى لقولى واليها نعود لأنا معشر أهل الجنة خالدون مخلدون .

١٠ — ومنها عيبه على أبى كبير الهذلى ضيق عطنه . بالقريض حين قال له إنك لمن أعلام هذيل ولكنى لم أوثر قولك

أزهير هل عن شيبة من معدل أم لا سبيل إلى الشباب الاول

فقد قلت فى مطلع أخرى ، أزهير هل عن شيبة من مصرف ، وقلت فى مطلع ثالثة ، أزهير هل عن شيبة من معكم ، وهذا يدل على ضيق عطنك بالقريض ، هلا ابتدأت كل قصيدة بفن . والاصمعى لم يرو لك إلا هذه القصائد الثلاث ، فيعيبا

أبو كبير بالجواب ويقول هاربا منه ، إنما كلام أهل سقر ويل وعويل فاذهب لطيتك » .

١١ — ومنها حكمه على الرجز بأنه دون الشعر حين يتصور أبيات أصحابه فى الجنة ليس لها سموق أبيات أصحاب الشعر فيقول ، تبارك العزيز الوهاب لقد صدق الحديث المروى « إن الله يحب معالى الامور ويكره سفسافها » وإن الرجز لمن سفساف القريض ثم يقول مخاطبا الرجاز ، قصرتم أيها النفر فقصر بكم ، ويعيب على رؤبة وسائر إخوانه كلفهم بالقوافى ذات الحروف النافرة وخلو أراجيزهم من مثل يذكر واللفظ يستحسن ، وأنهم إذا خرجوا عن صفة جمل أو فرس أو كلب كانوا غير الراشدين ، فاذا ما احتج رؤبة وأمثاله الرجاز بأنهم كانوا ممن تستشهد الائمة بألفاظهم قال له ، لا فخر لكم فى ذلك فانهم استشهدوا بـــ كلام الاماء والاطفال ، وإن رجزك يا رؤبة لوشبك ورجز أبيك ما خرجت منه قصيدة مستحسنة ولقد كنتم تأخذون جوائز الملوك بغير استحقاق ، وهنا يسأل العجاج المجاجزة فينفصـــلان .

١٢ — ومنها ـ وقد رأينا أن يكون الآخر لهذه المسائل الادبية ـ تعرضه لبعض الامثال الفرضية يذكر مضاربها بعبارة أدبية رائعة كقوله فى المثل « كيف أعاودك وهذا أثر فأسك » انه جاد على لسان الحية المعروفة بذات الصفا ، الوافية لصاحب ما وفى ، وكانت تنزل معه بواد خصب ، وتصنع اليه الجميل فى ورود الظاهرة والغب ، فلما ثمر بودها ماله ، ذكر عندها ثاره ، ووقف على صخره ، وهم أن ينتقم منها بأخره ، وكان أخوه ممن قتلته فضربها بفأسه ، والحقد يمسك بأنفاسه ، فلما وقيت ضربته ندم على ما صنع أشد الندم وقال لها مخادعا هل لك أن نعود خلين فقالت « كيف أعاودك وهذا أثر فأسك » . هكذا عبر عن مضرب المثل ثم أعقبه بهذه الابيات للنابغة الذبيانى فى نظمه

وأتى لألقى من ذوى الضغن منهم ... وما أصبحت تشكو من البث ساهره
كما لقيت ذات الصفا من حليفها ... وكانت تريه المال غبا وظاهره
فلما رأى أن ثمـــر الله ماله ... فاصبح مسرورا وسد مفاقره

أكب على فأس يجد غرابها مذكرة بين المعاول باتره
وقام على جحر لها فوق صخرة ليقتلها أو يخطىء الكف بادره
فلما وقاها الله ضربة فأسه وللبر عين لاتغمض ناظره
فقال تعالى نجعل الله بيننا على مالنا أو تنجزى لى آخره
فقالت معاذ الله أفعل انى رأيتك مسجورا يمينك فاجره
أبى لى قبر لايزال مقابلى وضربة فأس فوق رأسى فاقره

مسائل لغوية ونحوية وعروضيه

ذاك جل ماورد فى الرسالة من المسائل الأدبية ، أما مسائلها اللغوية والعروضية فهاك من كل بعض الشواهد على سبيل التمثيل .

١ — فمن مسائلها اللغوية ماذكره على لسان شيخها ابن الفارح حين قال لعمرو ابن احمر الباهلى أنشدنى قولك

بان الشباب وأخلف العمر وتغير الاخوان والدهر

فقد اختلف الناس فى تفسير العمر ، فقيل إنك أردت البقاء ، وقيل إنك أردت الواحد من عمور الاسنان وهو اللحم الناتئ بينها فقال عمرو متمثلا

خذا وجه هرشى أوقفاها فانه كلا جانبى هرشى لهن طريق

يعنى بتمثله أن كلا التفسيرين صحيح يأخذ به من يشاء . وهرش ثنية فى طريق مكة قريبة منها وكلا جانبيها من وجه وقفا طريق الى مكة قريب .

٢ — ومنها ماذكره على لسانه أيضا وهو يقول لبشار بن برد ، قلت فى بعض قوافى قصيدتك التى مطلعها

الحر يلحى والعصا للعبد وليس للملحف مثل الرد

قلت «والسبد» بضم فسكون ، فان كنت أردت جمع سبد بضم ففتح لطائر فان فعلا لايجمع على فعل ، وإن كنت سكنت الباء بعد فتح فقد أسأت لان تسكين الفتحة غير معروف ، وهنا تلزم بشارا الحجة فيتهرب من الجواب قائلا « ياهذا دعنى من أباطيلك فانى لمشغول عنك »

٣ — ومنها قوله للبيد أخبرنى عن قولك

تراك أمكنة اذا لم أرضها أو يرتبط بعض النفوس حمامها

هل أردت ببعض معنى كل فيقول لبيد كلا انما أردت نفسى كما تقول للرجل ، اذا ذهب مالك أعطاك بعض الناس مالا ، وأنت تعنى نفسك فى الحقيقة اى كأنى قلت نفسى وكانك قلت أعطيتك .

١ — ومن مسائلها النحوية ما تطرق اليه فى هذه اللغوية السالفة إذ يقول للبيد أيضا أخبرنى عن قولك أو يرتبط أمقصدك ، اذا لم أرضها أو يرتبط ، بالعطف على أرضها ، أم غرضك ، أترك المنازل او يرتبط ، فيكون يرتبط كالمحمول على قولك تراك امكنة ، فيقول لبيد الوجه الأول اردت .

٢ — ومنها ماجاء خلال حديثه عن مقابلته أبا على الفارس يوم الموقف إذ يقول ، وكنت رأيت فى المحشر شيخا لنا كان يدرس النحو فى الدار العاجلة ؛ يعرف بابن على الفارسى ، وقد امترس به قوم يطالبونه ويقولون له ، تأولت علينا وظلمتنا ، فلما رآنى أشار الى بيده فجئته ، فاذا عنده طبقة منها يزيد بن الحكم الكلابى وهو يقول له ، ويحك أنشدت عنى هذا البيت

فليت كفافا كان شرك كله وخيرك عنى ما ارتوى الماء مرتوى

برفع الماء ولم أقل الا الماء بالنصب ، وكذلك زعمت أنى فتحت الميم فى قولى

تبدل خليلا بى كشكلك شكله فانى خليلا صالحا بك مقتوى

وانما قلت مقتوى بضم الميم ، واذا جماعة من هذا الجنس كلهم يلومه على تأويله

١ — ومن مسائلها العروضية تعرضه للسناد يعيبه على عمرو بن كلثوم التغلبى بقوله ، لوددت أنك لم تساند فى قولك

كأن متونهن متون غدر تصفقها الرياح اذا جرينا

وما كان أكرمه فى الاعتذار عنه وهو يقول عن لسانه ، وأما ذكرك سنادى فان الاخوة ليكونون ثلاثة أو أربعة يكون فيهم الأعرج والابخق — أى الأعور — فلا يعابون بذلك فكيف اذا بلغوا المائة فى العدد .

٢ — ومنها أخذه على الحارث اليشكرى ضرورة من أقبح الضرورات ، حيث خالف أوليات الصرف للمحافظة على الوزن فى قوله

فعشن بخير لايضر ك النون ما أعطيت جدا

والضرورة هى جمعه بين تحريك الشين وحذف الياء فى عشن .

معارفها الاخرى

أما معارفها الاخرى من تاريخية وغيرها فاليك منها بعضا : -

١ — فمن التاريخية تكذيبه نكاح الانس الغيلان وهو يحاور تأبط شرا المنسوب اليه ذلك ، فقد سأله أحق ما روى عنك من نكاح الغيلان ؟ ثم جعل اجابته قوله لقد كنا فى الجاهلية نتقول ونتخرص ، فما جاءك بما ينكره المعقول فانه من الأكاذيب ، والزمن كله على سجية واحدة ، فالذى شاهده معد بن عدنان كالذى شاهده نضاضة ولد آدم .

٢ — ومنها ما ذكره من اختلاف الناس فى قتل طرفة بن العبد ، أكان فى ملك النعمان بن المنذر أم فى زمن عمرو بن هند ، فقد سأله فى هذا ولم يتلق منه جوابا ، ولعل ذلك لانه لم يكن يقطع فى هذا الامر برأى دون رأى ، كما هو دأبه فى كثير من مواطن الرسالة .

٣ — ومنها اخباره عن استهتار يزيد بن معاوية بالدين واقامته على ماكان يقيم عليه مع الاخطل من معاقرة خمر وسماع قيان ، وذلك حين يقول للاخطل ، أخطأت فى أمرين ، جاءك الاسلام فعجزت أن تدخل فيه ، ولزمت أخلاق سفيه ، ثم عاشرت يزيد بن معاويه وأطعت نفسك الغاويه ، فيزفر الاخطل ويقول ، آه على أيام يزيد وأنا أسوف عنده عنبرا وأمزج معه مزح خليل ، والقيان بين يديه تغنيه

ولها بالماطرون اذا أكل النمل الذى جمعا
خلفة حتى اذا ظهرت سكنت من جلق بيعا
فى قباب حول دسكرة حولها الزيتون قد ينعا
وقفت للبدر ترقبه فاذا بالبدر قد طلعا

ولقد فاكهته فى بعض الايام وأنا سكران ملتخ فقلت :

ألا اسلم سلمت أبا خالد وحياك ربك بالعنقز
أكلت الدجاج وأفنيتها فهل فى الخنانيص من مغمز

فما زادني عن ابتسام واهتز للصلة ، فاذا ما سأله عن مذهب يزيد أكان موحدا أم ملحدا لم يزد على قوله ، كانت تعجبه هذه الابيات :

أخالد هاتي خبريني وأعلني ... حديثك اني لا أسر التناجيا
حديث أبي سفيان لما سما بها ... إلى أحد حتى أقام البواكيا
وكيف بغى أمرا على ففاته ... وأورثه الجد السعيد معاويا
وقومي فعليني على ذاك قهوة ... تحلبها العيسى كرما شآميا
اذا ما نظرنا في أمور قديمة ... وجدنا حلالا شربها المتواليا
فلا خلف بين الناس أن محمدا ... تبوأ رمسا في المدينة ثاويا

٤ — ومنها ذكره عداوة بعض الائمة من أهل اللغة والنحو لبعض حين يتحدث عن ندامى الفردوس منهم فيقول ، وهم كما جاء في الكتاب العزيز « ونزعنا مافي صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين» فصدر احمد بن يحيى ثعلب ، قد غسل من الحقد على محمد بن يزيد المبرد ، فصارا يتصافيان ويتوافيان ، وابو بشر عمرو بن عثمان سيبويه ، رحضت سويداء قلبه من الضغن على علي بن حمزة الكسائي وأصحابه لما فعلوا به في مجلس البرامكة ، وأبو عبيدة صار صافي الطوية لعبد الملك بن قريب الاصمعي ، « والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار »

٥ — ومنها عن طريق الاشارة ، قوله لرضوان — وقد أعياه معه كل شيء في دخول الجنة حتى الحصول على ورقة من شجرة بابها يأخذ عليها جوازا — لو أن الامير أبي المرجى خازننا مالك لما وصلت أنا ولا غيري إلى درهم من خزائنه .

١ — هذا ومن سائر معارفها ، علمه أن الشمس أسرع شيء سيرا ، وذلك حين يسأل حميد بن ثور وقد ذكر له بيته في ضعف بصره .

أرى بصري قد رابني بعد صحة ... وحسبك داء أن تصح وتسلما
ولن يلبث العصران يوم وليلة ... إذا طلبا أن يدركا ما تيمما

كيف بصرك اليوم ؟ فيقول إني لأكون في مغارب الجنة فألمح الصديق من

أصدقائى وهو فى مشارقها ، وبينى وبينه مسيرة الوف أعوام للشمس التى عرفت سرعة سيرها فى العاجلة فتعالى الله القادر على كل بديع .

٢ — ومنها سوء رأيه فى النساء ، ذلك السوء الذى يستشف من قوله لعلقمة بن عبدة الفحل وهو فى النار أعزر على بمكانك . ما أغنى عنك سمطا لؤلئك ، ولو شفعت لاحد أبيات صادقة ليس فيها ذكر الله سبحانه لشفعت لك أبياتك فى وصف النساء

فان تسألونى بالنساء فانـنى بصـير بأدواء النساء طبيـب
إذا شاب رأس المرء أو قل ماله فـليس له فى ودهن نصيب
يردن ثراء المال حيث وجدنه وشرخ الشباب عندهن عجيب

بل ذلك السوء الذى ملأ به مأثور شعره ، كما فعل فى نسائيته التى يقول فى مطلعها .

ترنم فى نهارك مستعينا بذكر الله فى المترنمات
ولا ترجع بايماء سلاما على بيض أشرن مسلمات
أولات الظلم جئن بشر ظلم وقد واجهننا متظلمات

فقد أفهم سائر أبياتها باحتقار المرأة وإساءة الظن بها ، إلى درجة جعلته يرى السعادة كل السعادة فى خلو العالم منها .

٣ — ومنها تفضيله الجن على الانس على لسان أبليس حين يذكر ابليس ذلك ويذكر بشار بن برد عليه فى هذا التفضيل فيقول ، إن لبشار عندى يدا ليست لغيره من ولد آدم كان يفضلنى على آدم دون الشعراء وهو القائل .

إبليس أفضل من أبيكم آدم فتبينوا يامعشر الأشرار
النار عنصره وآدم طينة والطين لايسمو سمو النار

ثم يقول لقد قال الحق ولم يزل قائله من الممقوتين ، وعلى هذا الوجه فى التفضيل جاء حديثه مع الجنى الذى قال له حين عجب من بقاء حفظه عليه مع ذهاب الحفظ عن أهل النار وأهل الجنة جميعا « لسنا مثلكم يابنى آدم يغلب علينا النسيان بالرطوبة ، لأنكم خلقتم من حمأ مسنون وخلقنا من مارج من نار »

هذا وعلى ذكرنا ماذكر عن الجن نقول ، إن أبا العلاء أفاض الحديث عنهم

فى كثير من مواطن الرسالة إفاضة تنبىء عن بعض العقائد فيهم ،
وهذى بعض الأمثلة .

١ - ذكر أن من الجن من ليسوا من ولد إبليس فقد سأل وهو يسير فى جنة العفاريت شيخا منهم جالسا على باب مغارة ، ما اسمك أيها الشيخ ؟ فقال أنا الخيتعور أحد بنى الشيصبان ولسنا من ولد إبليس ولكننا من الجن الذين كانوا يسكنون فى الأرض قبل ولد آدم ﷺ

٢ — وذكر أن الجن يكونون فى الآخرة على صورهم فى العاجلة ، فى حين أن الأنس يكونون فيها بصورة الشباب . استمع اليه يسأل الخيتعور المذكور وكان قد استكناه للاكرام — يا أبا هدرش مالى اراك أشيب وأهل الجنة شباب؟ فيقول إن الأنس أكرموا بذلك وحرمناه ، لأننا كنا أعطينا دونهم الحولة فى الدار الماضية ، فكان أحدنا إن شاء صار حية رقشاء ، وان شاء صار عصفورا ، وان شاء صار حمامة ، فمنعنا التصور فى الدار الاخرة وتركنا على خلقنا لا نتغير ، وعوض بنو آدم كونهم فيما حسن من الصور وهو الشباب ،

٣ — وذكر أن الجن تعرف لغات الأنس ، وأن لهم مع هذا لسانا لا يعرفه الناس، فانه لما سأل أبا هدرش هذا كيف ألسنتكم ، وهل تكون فيكم عرب لا يفهمون عن الروم وروم لا يفهمون عن العرب قال أيها المرحوم ، انا أهل ذكاء وفطن ، ولا بد لأحدنا أن يكون عالما بجميع الألسن الأنسية ، ولنا بعد ذلك لسان لا يعرفه الأنيس .

٤ — ثم ذكر أن الجن تصرع الأنس وأن رجم الجنان بالشهب كان فى الجاهلية كما كان فى الاسلام ولكنه زاد أيام البحث ، فقد أخبر عن أبى هدرش فيما يتعلق بالصرع آخذا من حديثه عن نفسه ، أنه كان يعمد الى الكعاب فيصرعها ولا يزال سدكا بها لا يزول عنها مهما طب الأطبة ورقى الرقاة ، فاذا ما أصابها الحمام طلب لهصاحبة سواها وأنه لم يزل كذلك حتى رزقه الله الانابة فكان من التوفيق ، وحدث عنه حين سأله هل كان رجم النجوم فى الجاهلية فان بعض الناس يقول إنه لم يحدث الا فى الاسلام فقال ، هيهات أما سمعت قول الاودى

كشهاب القذف يرميكم به فارس فى كفه للحرب نار

وقول ابن حجر .

فانصاع كالدرى يتبعه نقع يثور تخاله طثيا

وعقب على ذلك بقوله ولكن الرجم زاد أوان المبعث ثم قال إن التخرص لكثير فى الانس والجن ، وإن الصدق لمعوز قليل ؛ وهنيئا فى العاقبة للصادقين.

وأخيرا أفليست الرسالة كما ذكرنا آنفا قد اشتملت على كثرة كثيرة من المسائل الادبية وألوان عدة من المسائل اللغوية والنحوية والعروضية وتعدت هذه وتلك الى معارف أخرى فكان لها بذلك شأن علمى غير شانها القصصى كشف عما كان لصاحبها من رأى فيما به صرح أو اليه أشار ؟ إنها لكذلك وقد عرفت الدليل .

السباعى بيومى